هيرا

مهداة إلى نجاح عبد النور ومسرحيته ميكانو

تنطلق فَزِعَةً. تنظر أمامها إلى البراح الشاسع المُمِلِّ الذي يحاول أن يسرِّبَ إليها الشكَّ. تبحث عن نقطةِ ضوءٍ أو علامةٍ على الطريق. تودُّ لو تنظر وراءها وتجد "ميكانو" نهض منتصرًا على ذاته. لكنها تخافهم. تخشى أن تتعثر قدماها فتسقط سقوطًا لا سبيل للخروج منه.

تضع فقط صوتَ قلبِها علامةً تهتدي بها وسط ضياع العلامات.

- سأصل بالتأكيد.

عبارة تكررها كي لا تتوه أو تضيع. تسمع من هنا أو هناك أصواتَ ضحكاتٍ ساخرةٍ. لكنها تعرف ما تريد. لا تترك ضحكةً تتمكَّن من قلبها أو تُسْكِنُ صوتَ عقلِها الضاجِّ بالأسئلة.

- الضَّجَّةُ بالأسئلة علامةُ تيقُّظٍ.

تؤكد لنفسها. تصرُّ على أن تتمسَّكَ بيقظتِها. أصواتُ مَنْ سقطوا تطنُّ في أذنيها. فتبصق على مَن يحاول اللحاقَ بها أو يلقي بكلمات بربرية في أذنيها.

تتعثَّرُ قدماها في جثة أحدهم. تفاجأ بوجود المسامير المفكوكة من ميكانو هنا بالرغم من أنها سقطت هناك عند الجبل البعيد الذي لم تعد له أية علامة. تحسُّ بلهيب النار يحرق قدميها وتشمُّ أذناها أصواتَ أسلاكٍ بدأتْ في الاحتراق. تتذكر كلَّ مَنْ سقطوا، كلَّ مَنْ لم يتمكَّنُوا من أن يُخرجوا الحياةَ المحبوسةَ داخلهم، كلَّ مَنْ أغمضوا أعينهم ولم يروا نورًا يكاد ينفلت من قلوبهم ليضيء لهم الطريق. تتذكر كل الكلمات البربرية والانهزامية. صوت ينبع من داخلها يقول لها:

- هيا.

تستجمعُ كلَّ ما أوتيتْ من قوةٍ وتنهضُ. تواصلُ السعي ما بين العلامات المنمحية. الاتجاهات الثلاثة الأخرى جرّبتها. لا بدَّ إذن أن تظهر علامة على هذه الطريق.

لا تنصت لصور السقوط التي تدور في رأسها كفيلم سينمائي أخذ عاملُ العرضِ يلهو بتسريعه وكأنه يسخر بالمشاهدين. لا تنصت للصوت الذي يقول لها إن ميكانو لم يَرُدّ قَطْ على أيَّةِ كلمةِ غَزَلٍ بدرتْ منها. يُفْزِعُها الوهنُ الذي بدأ يدبُّ في أطرافها.

- لا بدَّ أنَّه الوهنُ الذي يَسْبِقُ الإشراقَ.

تقولها لنفسها في يقينٍ وكأن الإشراقَ ذاته هو الذي يكلِّمها. فتلغي كلَّ هذا الوهن بِتكَّةِ إصرارٍ وتُوَاصِلُ العَدْوَ. تنطلق عابرةَ المسافاتٍ. وعندما يبلغ الجهدُ مداه، تشتمّ آثارَ نورٍ يتسرَّبُ إلى طريقها. تعدو أكثر. تجد النور خارجًا منها ينير لها الطريق لتُبْصِرَ كلَّ العلاماتِ.

١ مايو ٢٠٠٨